مكتبة البنين
قسم الدوريات

حولية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مصرح بإعارتها من المكتبة

العدد الأول
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

قضية التحديث
في ضوء الاتجاهات المعاصرة لعلم الاجتماع

دكتورة مجهنة سلطان سيف العيسى
مدرسة بقسم الاجتماع

مقدمة :

إن مفهوم التحديث ((Modernization)) يصعب ترجمته موضوعياً في ضوء خصائص أو نتائج يمكن اكتشافها ، لذلك يجب تعريفه بالاعتماد على وجهات نظر متعددة متباينة في العلوم الاجتماعية ، فبعض التعريفات يتسم بالنسبية المطلقة والآخر ينطلق من المسلمة القائلة بأن هذه العلوم لديها القدرة على التوجيه والنقد وكشف مواطن الخلل الوظيفي في البناء الاجتماعي، مما أدى إلى ظهور تعريفات متحيزة كالقول مثلاً « بأن التحديث هو اكتساب الطابع الغربي (١) » ولكن تبنى المنهج العلمي ساعد على اكتشاف العناصر التي تشترك فيها كل المجتمعات مما عاون على صياغة تعريف مقبول لمفهوم التحديث ، فأصبح يشير إلى نموذج محدد للتغير يظهر في المجتمع ، أو العملية المعقدة التي تستهدف أحداث التغييرات في جوانب الحياة الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والثقافية، والأيديولوجية

ويلعب التحديث دوراً هاماً في عملية التنمية التي تستلزم تشعباً وتعقيداً مستمراً في النظم الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع والتي تتطلب بدورها تغييرات في التزامات الأفراد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والسيكولوجية ، فالتنمية والتحديث يسيران قدما منذ أكثر من قرن في أجزاء كثيرة من العالم .

وقد دار جدل طويل حول مفهوم التحديث خلال السنوات الماضية ومن الواضح أن التحديث يعني التقدم ، ويرتبط بالتنمية . ومع ذلك فالمفهوم يستخدم اليوم للدلالة على التطور الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي . وطالما أن استخدام المفهوم مازال فضفاضاً فإننا نحدده بالتغير الذى يحدث في إتجاهات الأفراد وسلوكهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من

---

(١) انظر ـ السيد / محمد الحسيني وآخرون : دراسات في التنمية الاجتماعية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ ، ص ص ٣٣٧ ـ ٣٤١ .

جهة وبالتغير في البناء الاجتماعي من جهة أخرى . ونلاحظ أن اصرار بعض العلماء على استخدام المفهوم ليس لأنه جزء من الحصيلة اللغوية فحسب ، ولكن لأنهم لاحظوا أن هذه التغيرات المترابطة والمتعلقة ببعض والتي تأخذ مكانها في كثير من الدول الجديدة هي نفسها التي مرت بها كثير من الدول المتقدمة .

ولعل من أصعب الأسئلة التي تواجه علماء الاجتماع : ما هي هذه التغيرات وما علاقتها ببعض وكيف ندرسها وكيف يمكن أن نعجل من حدوثها ؟ .

فمنذ أن بحث آدم سميث في أسباب النمو الاقتصادي والمفكرين يبحثون في السبب الذى يجعل بعض المجتمعات أكثر تحديثاً من الأخرى . فظهور دول جديدة مستقلة بمفكريها الذين يكرسون جلّ وقتهم لتنمية مجتمعاتهم وتحديثها أضاف بعداً جديداً في دراسة عملية التحديث وليس هذا من خلال تزايد أعداد العلماء ولكن لاختلاف مناهجهم عن المناهج المتبعة في القرن العشرين عن المؤرخين وأصحاب النظريات الاجتماعية .

فالاختلاف يبدو اليوم أولاً في أن العلماء يميلون إلى الدراسات الامبيريقية ، فظهر الاهتمام بوضع افتراضات تخضع للتحقيق والدراسة الامبيريقية . لدرجة أن قليلا من العلماء يمكنه الادعاء علمياً بتعميم نتائجه لبعض القصور في البيانات الاقتصادية والدراسات التجريبية والأبحاث الميدانية . ولكن هدف الدراسات هي أن تكون الافتراضات دقيقة وقابلة للاختبار والتجريب .

وثانياً كانت الدراسات الأولى تجعل من أمريكا وأوربا المناطق التي بدأ منها التحديث بينما الأبحاث الحاليـــة أكثر عالميـــة Universal وتتعتمد على الدراسات المقارنة . فبحثت مجتمعات حديثة أخرى ، كالاتحاد السوفيتي واليابان . وأمكن بالتالي دراسة الاتجاهات والدوافع والعلاقات المستمدة من الأدلة التاريخية .

وثالثاً : أصبح العلماء أكثر قدرة على تحليل عوامل التحديث بأساليب منهجية منسقة . فبحثوا في كيفية حدوث التحضر Urbanization ، وكيفية تغـــير البنـــاء الاجتماعي وكيفية تطور النظم التعليمية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك .

وأخيراً لا يهتم العلماء الاجتماعيون اليوم بكيفية حدوث التحديث ولكن أيضاً في البحث عن طرق التعجيل والاسراع به مما حدا ببعض حكومات الدول الحديدة إلى الاستعانة بعلماء الاجتماع في وضع السياسات الإ نمائية . وذلك لأن علماء الاجتماع يعكسون روح المجتمعات الحديثة من خلال اهتمامهم بالدراسات الامبيريقية والنظرية : وتخصصهم في استخدام المعلومات من أجل الاسراع بالتحديث .

فالتحديث ، قد يسمى بالتعصير ، عامل أساسي في جعل المجتمع أكثر نشاطاً وفعالية وذلك بتجديد إنجازاته التكنولوجية التي تؤثر بدورها في المجتمع ، وبذلك يعني التحديث تغيراً للتغير أو تجديداً للتجديد مما يجعله بالفعل لازمة حضارية للمستقبل إذ لا يكفي أن نخطط أو أن نجمع بين التخطيط والتغير (التغير المخطط) ولكن علينا أن ننتقل إلى أكثر الصيغ حداثة في ميدان التغيرات الاجتماعية وهي التحديث فما هو المقصود بالتحديث ؟ .

يختلف مفهوم التحديث باختلاف العلـــوم الاجتماعية (١) أى أن كل فرع من العلوم الاجتماعية يعكس عاملاً مو عوامل التحديث . فيرى الاقتصاديون التحديث من خلال استخدام الإ نسان للتكنولوجيا للسيطرة على المصادر الطبيعية من أجل زيادة دخل الفرد . بينما يهتم رجال الاجتماع والانتروبولوجيا بعملية الاختلاف والتمايز بين المجتمعات فدرسوا الطرق والأساليب التي تظهر بها أبنية جديدة ذات وظائف جديدة ، أو تبنى وظائف أبنية أخرى مع التركيز على الفروق الناتجة في الأبنية الحديدة نتيجة ظهور وظائف جديدة ونمو نظم تعليمية وظهور مجتمعات جديدة بينما يهتم علماء السياسة بمشكلات بناء الدولة وبعض عناصر التحديث الهدامة .

لذلك يجب دراسة تعريفات التحديث مجتمعة لعدم وجود تعريف شامل يضم العناصر كلها منهـــا .

نشـــأة مفهوم التحديث وتعريفه :

دار نقاش كثير حول مفهوم التحديث خلال السنوات الماضية ، ومن الواضح أن التحديث يعني التقدم ويرتبط بالتنمية ، والتحديث إما أن يكون تطوراً تكنولوجياً أو تطوراً اجتماعياً أو نفسياً مثل ارتفاع درجة الطموح الفردي وتأكيد دور الفرد في الحراك الاجتماعي، وكل ذلك معاً بتفاعل جدلي .

(١) انظر :

International Encyclopaedia of Social Science
The Mac Millan Company and the Free Press, 1968, Vol. 10, pp. 396-397.

ولدينا صورة مشابهة لتقيم الغربيين والأمريكيين بصفة خاصة لحالة دول العـــالم الثالث وذلك في دراسة دانيال ليرنر (١) التي ظهرت عـــام ١٩٥٨ ، فمن خلال استبيان طبقة على ست من دول الشرق الأوسط أوضح مستوى التقدم أو التخلف الذى وصلت إليه كل دولة . فوجد أن بعضاً منها ما يزال يعيش في مجتمع تقليدى والقليل جداً كمصر وسوريا وصلت إلى منتصف الطريق وأطلق عليها مجتمعات إنتقالية " Transitional Societies " ، فأفراد هذه المجتمعات لديهم طموح Aspiration غربي السمات ، بينما إنجازاتهم Achievements بعيدة عن مجال طموحهم . وأخيراً هناك أقلية كالأتراك يسيرون نحو التحديث . والملاحظ في هذه الدراسة ضيق أفق المؤلف الذى يعتبر قيم المجتمع الأمريكي مقياساً للتحديث .

والحقيقة التي يجب توضيحها أن التحديث ظاهرة تاريخية معاصرة تناولها العلماء من منطلقات مختلفة باستخدام مفاهيم مختلفة كالتحديث السياسي والتحديث الاقتصادي والتحديث التعليمي والتحديث التكنولوجي والتحديث الحربي والتحديث الإ داري وما إلى ذلك ويرجع استخدام مفهوم التحديث بطرق غامضة إلى صعوبة التميز بين الظواهر المختلفة التي تبحث في : —

(١) تحديد التحديث بأنواع التغير الاجتماعي المختلفة ، وإعتبار أشكال التغير المختلفة أنواعاً من التحديث ، بينما يكون بعضها في الواقع نتائج للتحديث وليس العملية الأساسية له .

(٢) ارتباط مفهوم التحديث باكتساب الطابع الغربي Westernization ظاهرياًو ضمنياً ويمكن ملاحظة ذلك في تعريف المؤرخ الإ نجليزي أرنولد توينبي (٢) .

(٣) تحديد التحديث بأنماط الحكومات الديمقراطية والدستورية التي ترتكز أساساً على النموذج الأوروبي الغربي . حيث يوضح ايزنشتات (٣) أن فشل الديمقراطية والحياة

(١) انظر : Daniel Lerner, The Passing of Traditional Society, (New York: The Free Press, 1964) Pp. 43-90.

(٢) انظر ـ يقول المؤرخ الانجليزى ارنولد توينبي (١٨٨٩ ـ) Arnold Toynbee في هذا الصدد « ان العالم كله يتجه لأن يكون عصريا Modern وهذه الكلمة تقابل كلمة Western التي يجد الأفراد صعوبة في استخدامها لانها تعني تغيير اتجاهاتهم » . انظر ـ

(٣) انظر : J. Toynbee, The Present Day Experiment in Western Civilization (London: Oxford Universities Press, 1962), Pp. 24
S. N. Eisenstadt, "Breakdown of Modernization", Economic Development and Cultural Change, 12 (1964), Pp. 345-67.

الدستورية في كل من أندونسيا وباكستان وبورما والسودان هو انهيار للتحديث . ومن الواضح أن مفهومه للتحديث ضيق ويفقد السمات الرئيسية للعملية .

التحديث والمفاهيم المرتبطة به :

نجد أن قليلاً من العلماء الاجتماعيين يفرق بين التحديث (١) ومفاهيم التغير الاجتماعي ، والتنمية الاجتماعية والتصنيع (٢) ومن هؤلاء العلماء الذين فرقوا بين هذه المفاهيم ابتر Apter وبوسكوف Boskoff وهورفيتز Horowitz ونتل Nettle وربرتسون Robertson .

ونجد أن أبتر قد ميز بين مفاهيم التحديث والتغير الاجتماعي والتنمية الاجتماعية والتصنيع في قوله « أننا نعتبر التنمية كنوع خاص من التغير الاجتماعي والتحديث كحالة خاصة من التنمية ، بينما التصنيع وهو الأكثر تحديداً ، إلا أنه أكثر دلالة ووضوحاً (٣) ثم يضيف « أنه مع تداخل هذه المفاهيم إلا أن مفهوم التحديث يمكن إعتباره كعملية بعيدة عن التصنيع وبما أن الأول تم نتيجة للثاني كما حدث في المجتمعات الغربية ، فإنه يمكن أن يكون سببه في الدول الحديدة » (٤) ، أى أن التحديث في الدول الحديدة يؤدى إلى التصنيع ، وما عدا ذلك فإن آبتر لم يفسر كيف تتصل هذه العمليات ببعض وكيف تختلف عن البعض الآخر .

ومن ناحية أخرى فإن بوسكوف يميز بين التغير الاجتماعي والتنمية الاجتماعية حيث أن الأول يؤدى إلى تنوعات في البناء الاجتماعي ، بينما الثاني يتضمن حكماً على الرغبة في

---

(١) تظهر هذه القضية في معظم تعريفات التحديث فمثلا يقول ماريون ليفي « الابن » ان التحديث يشير الى التغيرات التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية المتفرعة من الابنية الثقافية ككل

Neil Smelser, "Modernization of. Social Relation" in Modernization edited by Myron Weiner (New York: Basic Books, 1966), p. 111.

(٢) انظر بصفة خاصة ماريون ليفي « الابن » عندما يقرر أنه بسبب انتشار التحديث في العالم أصبح المفهوم متغيرا اكثر من المفاهيم الاخرى كالقومية والكرامة والقوة .

(٣) انظر :

Myron Levy Jr., Modernization and the Siructure of Sccieties, New Jersey: Princeton University Press, 1966), p. 31

(٤) انظر : المرجع السابق ، ص ، ٤٤ .

David Apter, The Politics of Modernization (Chicago: The University Press, 1965), p. V.

التغير(١) . فالتغير الاجتماعي يفترض معـــنى موضوعياً ، بينما التنمية الاجتماعية تحمل معاني لفظية Connotations ذاتيـــة فإذا نحن وافقنا على تعريف بوسكوف للتنمية فهـــل هذا يعني أنه عند دراسة التنمية في مجتمع معين يجب أن نضع معايير أو قيماً لنوع التغير المرغوب فيه ثم نقوم بتقييم التنمية في ذلك المجتمع من خلال إذا ما التغير كان قريباً من الشكل المفروض . وهذه قضية كثير من الدراسات وخاصة التنمية الاقتصادية والسياسية في الدول الجديدة التي يفترض أن التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تشير إلى مؤشرات الديمقراطيات الغربية الحـــرة .

وقد قـــدم هوروفيتز Horowitz تصوراً دقيقاً للتنمية . فقـــد فرق بوضوح بينها وبين التصنيع ، والتغير والتطور الاقتصادي والديمغرافي . فالتصنيع يشير إلى الاختراعات التكنولوجية والآلية بينما تتضمن التنمية التغير في العلاقات الإ نسانية وفي المركز الاقتصادي والسياسي التي فيها يتصل الفرد بغيره ، بغض النظر عن مستوى التصنيع » (٢) .

هذا التميز يزيل حتمية الارتباط السببي بين التنمية الاجتماعية ومراحل التصنيع المحددة ، بالتالي يمكن تنمية العالم الثالث اجتماعياً دون الحاجة إلى الدخول في مراحل التصنيع الثقيل ، وهذا يعني أن الثاني ليس النتيجة الوحيدة للأول ، وبنفس المنطق السببي يمكن للفرد أن يقول أن خصائص الديمقراطيات الغربية الحرة ليست المؤشرات الوحيدة في التنمية .

ونستطيع أن نحدد مفهوم التنمية بدقة أكثر إذا ما قارناه بمفهوم التغير . فالتغير الاجتماعي بالنسبة لهوروفتيز يتضمن تبنيـــاً بطيئاً من خلال التوازن الموجود Existing equilibrium (٣) ومن ناحيـــة أخرى فإن التنمية هي انسلاخ Break حقيقي عن التوازن الموجود ، فيقول تتضمن « التنمية الخروج على التوازن الثابت ، وما يمكن تعديله هو نتيجة للتغير والذى لا

---

(١) المرجع السابق :

A. Boskoff, "Social Change", **Modern Sociological Theory,** (eds.), H. Becker and A. Boskoff (New York: The Dryden Press, 1957), p. 266.

(٢) أنظر :

I. Horowitz, **Three Worlds of Development,** op. cit., pp. 25—26.

(٣) أنظر :

Ibid.

يحتوى على إمكانية المرونة هو نتيجة للتنمية (١) » .

فيشير التميز بين التغير والتنمية إلى فكرة التغير التطورى والتغير الثورى ، أما التطور الاقتصادي والديمغرافي فيختلفان عن التنمية في أنهمـــا لا يؤديان إلى عمليات جديدة (٢) . ويبقى لدينا سؤال بدون إجابة ، وهو ما موقع التحديث في العلاقة بين التغير والتنمية ؟ فهوروفيتز كان مهتماً بوضـــع صياغات تصورية Conceptualization للتنمية بـــدلاً من التحديث ، من أجـــل أن يبين أن الأول « التنميـــة » هو عملية شامـــلة يكون فيها التحديث والتصنيع وحدات فرعية (٣) ومع ذلك فليس من الضروري أن يتوازى الاتفاق مكانياً أو مؤقتاً فقد يكونان في فترات زمنية معينة متناقضين . Anthetical (٤) .

وعلى العكس من ذلك نجد نتل وروبرتسون يريان أن التصنيع والتنمية مفاهيم تابعة للتحديث (٥) وقد فسرا العلاقة بين هذه المفاهيم من خـــلال تصوراتهما لحالات المجتمعات المتغيرة . ويرجع السبب إلى اختلاف مفهوم عن آخر إلى الظروف الأمبيريقية المتغيرة التي ظهر فيها كل مفهوم . لذلك يمكن أن يحدد التصنيع بأنه « يتكون من العملية التي تشير إلى التغـــير من الأنشطة الزراعية أو المنزلية إلى الإ نتاج الصناعي (٦) » فالتصنيع لاينفصل عن التنمية الاقتصادية ولا عن النتائج الاجتماعية التابعة له . كما أن نتل وروبرتسون يطلبان فصلاً تحليلياً بين التصنيع وعمليات التغير الأخرى على المستويات الاجتماعية والنفسية والسياسية (٧) .

---

(١) أنظر : نفس المرجع .

(٢) أنظر : نفس المرجع .

(٣) **Ibid.**

Ibid.

I. Horowitz, "Personality and Structural Dimension in Comparative International Development," **Social Science Quarterly,** 51:3 December, 1970), pp. 494—513.

(٤) المرجع السابق ، ص ٥١٣ .

(٥) أنظر :

J. P. Nettle and Roland Robertson, "Industerialization Development and Modernization", **British Journal of Sociology,** 17:3 (September, 1966) pp. 274—289.

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٨٢ .

وقد بحث ناتال وربرتسون Robertson and Nettle في الصياغات التصورية لمفهـــوم التحديث وقدما « الوعي القومي والذاتي» للمجتمع الذى يتجه نحو التحديث في النسق الدولي(١) فالتحديث والحداثة يرتبطان بالمجتمع وليس حسب مؤشرات تحليلية ، فيتضمن التحديث « تقييم وتحقيق أهداف معاً ترتبط بالدرجة الأولى بشكل الدولة (في المجال الصفوة السياسية) ، وتعمل كميكانزمات التوافق الذاتي بالنسبة للمعلومات التي تحصل عليها (٢) » . والأمر الذى يلفت النظر في تعريف ناتال وروبرتسون هو تفسير العلاقة بين الموقف المحلي والدولي ، فبالنسبة للباحث تكون المشكلة امبيريقية وتحليلية معاً . فيجب عليه أن يفحص امبيريقيا الأهداف الحقيقية التي تهدف إليها دولة معينة ، ومن الناحية التحليلية « تكون أفضل وسيلة للبحث في عملية التحديث من خلال عالمية التحديث والتنشئة الاجتماعية والجماعات المرجعية».

ولا يمكن للباحث أن يحل المشكلة التحليلية ما لم يحدد مؤشرات « الثقافة العالمية » وهنا نواجه مرة أخرى السؤال الذى يدور حول نموذج التحديث الذى يؤدى إلى تغيرات في المجتمعات الحديدة . وهذا السؤال لم يجب عليه نتل ((Nettle)) وروبرتسون إلا أنهما يشيران إلى مشاريع التنمية التي تحتاجها المجتمعات الحديدة ، كوسائل وأساليب الاتصال التي تجلب مؤشرات التحديث العالمي في المجال المحلي (٣) .

وفي هذه النقطة بالذات يمكن لمفهوم التنمية أن يخدمنا ، إذا ما استخدم بهذا المعنى فإنه سيشير إلى الدرجة التي استطاع فيها المجتمع إما أن يحقق أهدافه أو الأهداف التي افترضها العلماء الاجتماعيون .

ومن التحليل السابق لمفاهيم التحديث والتنمية والتصنيع يمكن أن نعتبر التغير المفهوم الأكثر موضوعية ، ويمكن أن نتعرض له بأى اتجاه وأى شكل ، وعلى العكس من ذلك فالتنمية هي تقييم ذاتي سواء استخدمه العلماء الاجتماعيين أو القادة السياسيين في الدول الحديدة ، لأن كليهما يصور التنمية (بأنها التغير) إلى « الأفضل أو النمط المرغوب » ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

(٣) ولكن نتل وروبرتسون تجنبا تحديد مؤشرات « الثقافة العالمية » وصور النسق الدولي « بأنه النسق الذى تتكون فيه قيم واهتمامات الفرد من خـــلال علاقتها بقيم واهتمامات « الآخرين » المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

وذلك حسب الإ طار النظرى الذى يفترضه الباحث من جهة والأهداف القومية التي يحددها القادة السياسيون من جهة أخرى . ولكن اقتراب الأهداف القومية من الإ طار النظرى للباحث قضية امبيريقية يحتاج إلى دراسة وبحث .

و كما يبدو فإن هناك إجماعاً بين بعض العلماء على أن التصنيع عملية تختلف عن التحديث إذا حـــدد التصنيع بالتغير التكنولوجي(١) . والتفرقة التحليلية بين هذين المفهومين ذات دلالة إذا ما تعرضت للتغيرات الإ جتماعية . وبالتالي يمكن تحليل التغير الإ جتماعي والسياسي بغض النظر عن درجة التصنيع ، إلا أنه لا يعتبر نتيجة أساسية التصنيع . وهذا التصور يجعلنا نركز على طبيعة التغير في الدول الجديدة . فكما ذكر نتل وربرتسون أن التغير في الدول الجديدة انتقـــل من قضايا « التبـــني الاقتصادي Adaptive economic إلى تحقيق الأهداف Goal-attainment فهذا التغـــير في الاتجاه يقـــابل الانتقال التحليلي من مفهوم التصنيع إلى التحديث . وبالتالي فالتحديث هو العملية التي من خلالها يمكن للنسق السياسي أن يسمح ويساير التغير الاجتماعي والاقتصادي (٢) .

التحديث كعملية وكهدف قومي :

١ ـ التحديث كعملية :

يشكل تعريف التحديث في المناقشة السابقة الاتجاه الجديد في دراسة التحديث بالنسبة لبعض علماء الاجتماع والسياسة . ونلاحظ أن العلماء كانوا ينظرون إلى مفهوم التحديث في الدراسات السابقة باعتباره تغـــيراً ويتجاهلون دوره كهدف قومي للمجتمع المعني(٣) . وهذا التركيز يظهر في تعريف ويلبرت مور الذى يوافق عليه كثير من الدارسين حين يعتبر

(١) تعرف معظم الدراسات الاجتماعية التحديث من خلال علاقته باتصنيع . ففي الخمسينات كانت الفكرة الســـائدة أن عملية التصنيع تؤدى الى تغيير المجتمع التقليدى ويظهر ذلك في كتابات جوزيف كال وبصفة خاصة عندما تحدث عن علاقة التصنيع باتحديث في :
J. Khal, "Some Social Concomitants of Industerialization and Urbanization", **Human Organization** (1959), pp. 53—71.

(٢) وهذا يعني أن التغير التكنولوجي في الدول الجديدة يـــرتبط بالتغيرات الأيديولوجيـــة والسياسية .

(٣) من الدراســات التي تنظر الى التحديث كعملية دراسات هربرت برنجر وزملاءه Herbert Barringer وايزنشتات (١٩٦١) وماريون فاينر Myron Weiner (١٩٦٦) أما العلماء الذين اعتبروا التحديث كهدف فهم قلة ومن بينهم تصور ناتال وشيلز للتحديث الذى يرون أنه يقترب من الهـدف الذى ترمى اليه الصفوة في الدول الجديدة .

التحديث « التحول الشامل للمجتمع التقليدي أو ما قبل الحديث إلى الأشكال التكنولوجية والتنظيمات الاجتماعية المرتبطة به التي تميز الدول « المتقدمة » المزدهرة اقتصادياً والمستقرة سياسياً في العالم الغربي (١) » .

ونلاحظ أمرين رئيسيين في تعريف « مور » الأول : افتراض التغير الخطي Unilinear Change والثاني تعادل أو تطابق التحديث بالأخذ بالطابع الغربي — Westernization ولكن الموضوع الأول يعتبره كثير من العلماء الاجتماعيين بإنه مضلل ، فمثلاً جوزيف جسفيلد Gusfeild يرى أن افتراض التغير الخطي مشتق من تصور أن النظم التقليدية والقيم غير ملائمة للتغير . أما مشابهة التحديث بالأخذ بالطابع الغربي فيبدو كأمر لا يمكن اجتنابه في التعريفات الفنية Techniical للتحديث ، لأن هذه التعريفات تنظر إلى التحديث من خلال ارتباطه بالتصنيع . وبما أن معظم دراسات التصنيع هي في الواقع دراسات في التطور التكنولوجي والاقتصادي في الغرب فقد أدى هذا إلى إعتبار خصائص التصنيع إعتبار خصائص التصنيع كخصائص للتحديث . وهنا نجد لابالومبرا La Palombra لا يوافق على هذه النقطة ، لأنه يرى إمكانية إعتبار التحديث مفهوماً حيادياً إذا كان يعني ببساطة التصنيع . ومن بعد ذلك فإن مفهوم التحديث « لن يتضمن بالضرورة النظرية الخطية في التطور أو أي إطار نسقي معين يجب أن يتم من خلاله ذلك النوع من التغير الاقتصادي (٢) » ويرى أيضاً إن هذين الافتراضين يجب ألا يرتبطا بالتصنيع . ولكن تصور لا بالومبرا بعيد عن معظم الدراسات التحليلية للتصنيع الذى يعتبر فيها كموضوع عالمي وأن أشكال التنظيمات

Shils, "On the comparative stydy of New States", **Old Societies and New States, op. cit.,**

وكذلك يعتبر جسفيلد أهداف الدول الجديدة محور تحليله .

Joseph Gusfield, Tradition and Modernity: Misplaced Polarities in the Study of Social Change, "**American Journal of Sociology,** 72 (1967), pp. 351—362.

(١) Wilberte Moore, **Social Change.** (New Jersey: Prentice Hall, 1963), p. 89, 91—92.

(٢) انظر :

J. La Palombra, (ed.), **Bureaucracy and Political** Development (New Jersay: Princetion University Press, 1963) p. 9.

الاجتماعية الغربية تعتبر المرحلة النهائية التي يؤدى إليهـــا التصنيع(١) . وعلى ذلك فالالتباس التحليلي بين التحديث والتصنيع يصبح كبيراً إذا ما استخدمنا الأول في تحليل التغير الاجتماعي في المجتمعات الحديدة من جهة ، وإذا اعتبرنا خصائص الثاني (التصنيع) ذات صدق عالمي من جهة أخرى .

وكذلك نجد أن النموذج الغربي في كثير من دراسات التحديث يشير إلى المرحلة الختامية "End State" التي يتجـــه نحوها تحديث الدول الحديدة . لأن هؤلاء الدارسين يستخدمون مقـــوله النسق الحـــديث الموجودة في الانساق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الدول الغربية وهي بإيجاز كما ذكرها الموند Almond وكولمان Coleman (٢) ارتفاع معدل التحضر ، وانتشار التعليم وارتفاع دخل الفرد وزيادة معدل الحراك الجغرافي والاجتماعي وارتفاع معدل التجارة والتصنيع مع وجود شبكة اتصال جماهيرى واسعة وبالإ ضافة إلى المشاركة الجماهيرية .

ويرى العلماء الاجتماعيون الذين يستخدمون النموذج الغربي في تحليل التغير الاجتماعي في الدول الحديدة إن المراحل التي مرت بها الدول الغربية هي نفس المراحل التي تمر بها الدول الحديدة . ومن العلماء الذين يؤيدون هذا الرأي دانيال ليرنر ، ولكن التطور الذى شهدته الدول الغربية يرجع إلى عوامل تختلف اختلافاً كلياً عن العوامل والظروف التي تمر بها الدول الحديدة اليوم . فالدول الغربية مرت بعصور اقطاعية طويلة انتقلت منها إلى مجتمعات صناعية بعد الثورة الصناعية مستخدمة في ذلك المواد الخام التي تستوردها من الدول المستعمرة . كما أن التطور الفكرى جاء نتيجة خبرات طويلة من التعليم ونشر الثقافة التي قامت على أيدى رجال الدين ، وأيضاً تختلف النظم السياسية في الدول الغربية فبعضها كان امبراطوريات وأخرى كان ملكيات . ولكن الدول الحديدة تختلف في ظروفها عن الدول الغربية ، والسؤال الذى يواجهنا هل على الدول الحديدة أن تستعمر دولاً أخرى لتعتمد عليها في الحصول على

(١) انظر :

Fatina Amin Shaker, **Modernization of the Developing. Nations, op. cit.,** p. 33.

(٢) انظر :

G. Almond and James Coleman, **The Politics of Developing Areas** (Princeton, New Jersay: Princeton University Press, 1960), p. 52.

الموارد الخام وهل تحتاج أيضاً إلى ثورة صناعية كالثورة الصناعية في الدول الغربية في هذا العصر ؟ إن الإجابة بالطبع على هذه الأسئلة بالنفي ، فإذن النموذج الغربي ليس هو النمط المثالي الذى يجب على الدول الجديدة أن تسعى إليه ، وذلك لوجود نماذج حديثة أخرى في اليابان والاتحاد السوفيتي والصين مثلاً قد تكون نماذج جيدة للاقتباس ولكن الأمر الذى يجب أن تعرفه الدول الجديدة أن لها خصائص مميزة وتراثاً اجتماعياً وثقافياً خاصاً يمكنها من تكوين نموذج خاص بها يسير جنباً إلى جنب مع النماذج الغربية وغير الغربية الحديثة . لأن التحديث في الغرب كان نتيجة للتصنيع ، بينما التحديث يؤدي إلى التصنيع في المجتمعات الجديدة (١) .

٢ ـ التحديث كهدف قومي :

تعتبر الأهداف القومية للدول الجديدة وفق التحليل السابق لنموذج التحديث هي تحقيق التحديث الغربي ، وهذا هو الموضوع الذى يواجهه دارسو التحديث في الدول الجديدة أى هل يعتبر التحديث بالنسبة للقادة في الدول الجديدة هو نفس الأمر الذى يراه الغربيون متمثلاً في العلمانية والترشيد والحياة الحضرية والقيم الديمقراطية وغيرها . فيقول هوروفيتز في هذا الصدد « إذا افترضنا أن الدول المتقدمة تبدو كصورة المستقبل للدول النامية فهل الدول النامية تتقبل هذا التصور ؟ وهل هي مستعدة لتقبل التحديث دون أن تكون أهـلاً له (٢) » ؟ هذا السؤال وغيره يبقي دون إجابة في دراسات التحديث .

ولكن نستطيع الإجابة على هذا السؤال إذا بحثنا في معنى التحديث من وجهة نظر المجتمع المعنى أو موضع الدراسة . ومن هنا يمكن أن نعرف ماذا يريد ذلك المجتمع أن يكون أولا يكون . ولا يستطيع قادة الدول الجديدة فهم التحديث من خلال الأسباب التي يضعها العلماء الاجتماعيون فقط ، ولكن من خلال تجاربهم التاريخية والثقافية ، وبين المزج بين واقع هذه الدول وبين ما يريد القادة تحقيقه . فقد وجد بعض الدارسين أن افتراضاتهم في الواقع تختلف عن نتيجة وإتجاه التغير في بعض الدول النامية . فمثلاً في تحديث الهند وجد

---

(١) انظر : David Apter, **The Politics of Modernization, op. cit.,** p. 44.

(٢) انظر : I. Horowitz, **Three Worlds of Development, op. cit.,** p. 3.

ماريوت Marriot أن تنمية الدول الجديدة تمثـــل نموذجاً يختلف عن الافتراض القائـــل أن تنمية هذه الدول تشكل إتجاهاً يسير في خطي الثقافة الغربية (١) . وهذا الهـــدف القومي يختلف من دولة لأخرى حسب بنائها السياسي والاجتماعي والاقتصادي . فمثلاً نجد في معظم كلمات وخطب ملوك أو أمراء أو رؤساء المجتمعات النامية الإ شارة إلى التنمية الاجتماعية بإعتبارها هدفاً قومياً ولكن ما هي الاعتبارات التي تصبح التنمية في ضوئها هدفاً قومياً ؟ هذه الاعتبارات قد تتمثل في التراث القومي والديني (المملكة العربية السعودية وإمارات الخليج) وقد تستمد من النظام السياسي أو الاقتصادي للدول المعينة . وقد يكون السبب المنطقي في هذه الدول هو نفسه الذى قاد الوعي القومي في اليابان ضد نظام حكم الميجي الميجي عام ١٨٦٨ (٢) ، الذى حافظوا فيـــه على خصائص النسق العائلي . فنحن نتوقع من القادة السياسيين في المجتمعات الجديدة أن يحققوا أهدافهم من خلال قومياتهم . وفي هذه الحالة يمكن أن يعتبر النموذج الغربي نموذجاً جيداً (بالنسبة للغرب فقط) .

والنقطة التي نود توضيحها أن على العلماء الاجتماعيين أن يدرسوا التحديث ليس كعملية فحسب وإنما كهدف قومي للمجتمع الذى يقومون بدراسته (٣) ، وبالتالي فعـــلى الباحث أن يبحث القضايا الداخلية والخارجية لهذا الهدف ، وفي هذه الحالة يستطيع العلماء الاجتماعيون التمييز بين الأسباب العالمية المؤدية إلى التحديث والخاصة بمجتمع معين . وعلى ذلك فدراسة التحديث كهدف هي دراسة أهداف مخطط لها ومدروسة ومتحكم فيها وترمي إلى تحقيق احتياجات معينة وبالتالي يمكن معرفة مدى تحقيقها . فإذا اعتبرنا التحديث هدفاً قومياً لمجتمع معين فإن النظم والاحتياجات يجب أن تتوافق لتحقيق متطلبات التحديث . وهذا يتطلب

(١) انظر :

Mckim Marriot, "Cultural Policy in the New States" **Old Societies and New State,** Geertz(ed.) **op. cit.,** p. 35.

(٢) انظر :

Marius Jansen (ed.) **Changing Japanese Attitudes Toward Modernization,** (Princeton: Princeton University Press, 1968), Chapt. VII.

(٣) أنظر :

J. Nettle, "Strategies in the Study of Political Development" Colin Leys (ed.), **Politics and Change in Developing Countries** (Campbrige: The University Press, 1969, pp. 17—18.

وضع خطط محددة للتغير في المجتمع حتى يمكن للتحديث كهدف أن يحقق احتياجات النظم والقيم . وهنا سيواجه المخطط أمراً آخراً : هل الخطة الموضوعة للتغير في المجتمع هي من أجل تغيير النظم أو القيم أو كلاهما ؟ . والإ جابة على هذا السؤال ، تكمن في ضرورة فهم العلماء الاجتماعيين لاحتياجات المجتمع المقصود .

وهنا نحتاج مرة أخرى إلى معرفة كيف يوجه المجتمع نفسه ، بمعنى أن المجتمع يمكنه أن يقرر ما يحتاج إليه وما يفيده وبالتالي يضع خططه وفقاً لاحتياجاته طالما أن لديه رصيداً معرفياً « ضخماً » لثقافته من خلاله يمكن أن يوجه مسار تغيره الاجتماعي . وهذا مما حدا ببعض العلماء الاجتماعيين في الشك في عملية التحديث ، فمثلاً نتل يقول أن الدراسات في الخمسينات التي كانت تسود فيها مفاهيم التنمية الاقتصادية والتصنيع أصبحت الآن قديمة ، لأن المجتمعات الحديدة وضعت بنفسها قراراتها في هذا الشأن . فالمجتمعات الحديدة اليوم بدلاً من أن تتبع مراحل النمـــو الاقتصادي لروستو أو الرجل السياسي ليبست Lipset ترى أن التحديث هو تحقيق أهداف اجتماعية معينة .

ويرجع هذا الشك إلى سببين أساسيين ، الأول ظهور نماذج للتحديث تختلف عن النموذج الغربي ، كالنموذج الياباني والروسي ، وقد تناول رودولف وسوسنا رودولف مميزات هذين النموذجين في فهم التحديث (١) ، والعامل الثـــاني هو عدم ثبات النموذج الغربي والذى يواجه اعتراضاً من المجتمع الغـــربي نفسه (٢) . وبالإ ضافة إلى تطور أهداف المجتمعات النامية والتي أصبحت تدرك تنوع أشكال التحديث ونماذجه ، وبالتالي تختار ما يناسبها .

---

(١) انظر :

L. Rudolph and Susanna Rudolph, **The Modernity of Tradition** (Chicago: The University Press, 1967), p. 10.

(٢) انظر :

J. Nettle, "Strategies in the Study of Political Development" **op. cit.**, p. 20.

المـــراجع والمصـــادر

السيـــد محمـــد الحسيني (الدكتور) وآخرون ، ذراسات في التنمية الاجتماعية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ .

Almond, G. and James Coleman

1960. The Politics of Developing Areas. New Jersey: Princeton University Press.

Apter, David.

1965. The Politics of Modernization. Chicago: The University Press.

Becker. H., and A. Boskoff. (eds.)

1957. Modern Sociological Theory. New York: The Dryden Press.

Eisenstadt, S. N.

1964. "Breakdown of Modernization", Economic Development an dCultural Change, 12.

Geertz, C. (ed.)

1963. Old Societies and New States. New York: The Free Press.

Gusfield, Joseph.

1967. "Tradition and Modernity: Misplaced Polarities in the Study of Social Change," American Journal of Sociology. 72: 351—362.

Horowitiz, Irving Louis.

1970. "Personality and Structural Dimensions in Comparative International Development,: Social Science Quarterly, 51:3 (December) 494-513.

1972. Three Worlds of Development. London: Oxford University Press.

International Encyclopedia of Social Science.

1968. Vol. 10. New York: The MacMillan Company and the Free Press.

Khal, Joseph.

1959. "Some Social Concomitants of Industerialization and Urbanization." Human Organization. 53-71.

Janson, Marius (ed,)
1968. Changing Japanese Attitudes oward Modernization. Princeton: Princeton University Press.

Levy, Mryon Jr.
1960. Modernization and the Structure of Societies. New Jersey. Princeton University Press.

Lerner, Daniel.
1964. The Passing of Traditional Society. New York: The Free Press.

Leys, Colin (ed.)
1969 Politics and Change in Developing Countries. Cambridge: The University Press.

Moore, Wilbert.
1963. Social Change. New Jersey: Prentice-Hall.

Nettle, J. P. and Roland Robertson.
1966. "Industerialization, Development and Modernization." British Journal of Sociology. 17:3 (September) 274-289.

La Palombara, J. (ed.)
1963. Bureaucracy and Political Development. New Jersey: Princeton University Press.

Rudolp. L. and Susanna Rudolph.
1967. The Modernity of Tradition. Chicago: The University Press.

Shaker, Fatina Amin.
1972. Modernization of the Developing Nations: The Case Study of Saudi Arabia. Ann Arabor, Michigan: University Microfilms International.

Toynbee, A. J.
1962. The Present Day Experiment in Western Civilization. London: Oxford University Press.

Weiner, Myron (ed.)
1966. Modernization. New York: Basic Books.